

تقرير

14 آذار: ندعي النصر ولو في الصين

نادر فوز

تجلس مجموعة من القياديين في حركة 14 آذار أمام شاشات الفضائيات العربية، بعد أن تابعوا الثورتين التونسية والمصرية، يحاولون اليوم الاستمتاع بما يجري في البلدان المجاورة، وأولها سوريا. يعود بهم الحنين سنوات إلى الورا، يوم كانوا يحاولون القيام بالفعل نفسه - ولو لمنطلقات وأهداف مختلفة - في ساحة الشهداء وسط بيروت. يقارنون هذه الساحة بتلك وهذا الظرف بأخر، كما لو أنهم يحاولون إعادة عيش تلك التجربة التي تبين مع الوقت أنهم خرجوا منها خاسرين.

لم تفهم قيادة 14 آذار حتى اليوم لماذا يضحك التونسيون والمصريون عندما يسمعون تشبيه ما جرى في القاهرة وتونس العاصمة بانتفاضة الاستقلال 2005، وأكثر ما يثير سخرية الثوار العرب أنه في ثورتهم لا وجود لوليد جنبلاط وأمين الجميل وسعد الحريري. ففريق ثورة الأرز لم يفهم أنه في مصر وتونس، خرج الناس ضد الظلم وللمطالبة بالحرية والطعام والشراب وكرامة المواطن، فأخرجوا الجمع من قيادات أحزاب ومسؤولين وسفراء ووزراء خارجية عرب وغربيين، بينما ثورة الأرز أول ما رفعته بعد نيلها حرية التظاهر وملء ساحة الشهداء إسقاط سلاح حزب الله ومحاسبة النظام السوري.

ولم يدركوا أن أهم الفوارق بين الحالتين، يكمن في كون مصر وتونس أجبرت الغرب على تبني خطاب الناس، فيما الشعارات الأميركية الداعية إلى الحرية والديموقراطية أسقطت من السماء على جمهور 14 آذار عام 2005. بمعنى آخر، حالة ثورة الأرز ارتبطت بالمشروع الأميركي وزالت مفاعليها مع تغيير سياسة واشنطن في المنطقة، أما ثورتنا مصر وتونس فماضيتان في الإصلاحات التي وعدتا بها بغض النظر عن الوجه والشكل السياسيين اللذين قد تتخذانها بوصول هذا الطرف أو ذاك إلى الحكم.

كل هذا قد يحمل تقويلات واختلافاً في وجهات النظر، لكن ما يمكن أن يحسم الأمر هو اعتبار قسم كبير من قيادة 14 آذار أنها «أخذت نفساً نتيجة الثورات العربية»، باعتبارها «ردّة رجل» أميركية على المنطقة. الأهم هو اعتقاد بعض قياديين ثورة الأرز أن المشروع الأميركي في المنطقة عاد بقوة وثبات، وأن الثورات والانتفاضات والانقلابات الحاصلة في المعمورة هي منطلق «الدومينو» الذي يتحدث عنه الأميركيون منذ 2004،

وحتى قبله أثناء اجتياح العراق. وكل هذا الحراك في البلدان العربية، بحسب عدد من قياديين 14 آذار، يمثل وجهاً جديداً من مشروع «الفوضى البناء» أو «الخلافة»، الذي سيعطي العرب، ولو بعد حين، الحرية والديموقراطية والعيش الكريم ويسمح لهم بالقضاء على الديكتاتوريات التي تحكمهم منذ عقود.

تبنى فريق الأكثرية السابقة ثورة مصر يدفع عدداً من القياديين فيها إلى

يضحك التونسيون والمصريون عندما يسمعون تشبيه ما جرى في بلديهم بانتفاضة 2005 (أرشيف - هينم الموسوي)



مشروع 14 آذار لا يمكن أن ينجح سوى بانتصارات حلفائه في المنطقة

سؤال عن أسباب إلغاء رئيس حكومة تصريف الأعمال، سعد الحريري، زيارته لمصر التي كانت مقررة بعد أيام. يجيبون: «لأسباب تكتيكية، لا يريد كل من الحريري وقيادة الثورة المصرية إعطاء هذا الطابع السياسي للثورة خصوصاً في هذه المرحلة الانتقالية».

تتناقل المجالس الأكثرية هذه النظرية، فتفرح بعض الوجوه وتقلق أخرى. في الشكل، قد يكون المتفائلون في 14 آذار على صواب، إذ إن الشعوب العربية باتت مشغولة بقضاياها الداخلية. لكن في المضمون، يغيب عن بال هؤلاء المتفائلين أن الأميركيين ليسوا هم من افتعل هذه التحركات الشعبية، وأن البلدان التي تصيبتها عدوى الثورات - باستثناء سوريا - هي بلدان كانت موالية خارجياً لواشنطن. وبذلك، لا يجوز تفسير ما يجري بصفته إحلالاً للفوضى في البلدان غير الصديقة للولايات المتحدة.

يرفض متفائلو 14 آذار النظر إلى ما يجري سوى بصفته «مشروع بوش»، وهو يتحقق لكن «بهدهوء وبطريقة أكثر نعومة». قد يكون هذا الفريق على صواب، لكن ما يجري تسويقه في هذه المجالس، بدل على أمر هو أن مشروع 14 آذار في الداخل لا يمكن أن ينجح سوى بتعويله على انتصارات حلفائه في المنطقة. وبطريقة أخرى: مرحبا لبنان أولاً.

وجود هذا الفريق من الأكثرية الذين بدأوا يعدون العدة لانتصار حاكم جديد، لا يمنع زملاء لهم من قراءة الواقع بطرق مختلفة ذات بعد إنساني. فضمن هذا الفريق، يساريون لم ينتسبوا يوماً إلى حزب، كل ما يرونه في مصر وتونس «سقوط جدار الديكتاتورية، وخرج الشعوب العربية إلى النور ومطالبتها، أسوة بغيرها من الشعوب، بالقليل من الحياة». لا ينظر هؤلاء الأكثرية اليساريون إلى وجود توجيه أيديولوجي أو ديني لما يحصل في المنطقة، فيحملون عبارة «تركوا المصريين والتونسيين في ثورتهم»، ويديرون على المجالس مستنكرين الشوفينية الـ14 آذارية التي تدعي النصر ولو في الصين.

ارسلان: الكرة في ملعب المسؤولين اللبنانيين الواجب عليهم إعطاء جواب واضح

رفيق الحريري التحريض على سوريا يستخدم التحريض المذهبي. ويحاول هذا الفريق تصدير التحريض المذهبي الذي استعمل في طرابلس وعدة مدن من لبنان إلى بلدان أخرى. أما الوزير محمد فنيس، فأكد «الوقوف بجانب سوريا من أجل ضمان استقرارها لما تمثله من موقع في معادلة الصراع مع العدو الصهيوني، ومن الطبيعي أن تكون عرضة للكثير من التدخلات الخارجية»، معتبراً أن استهداف سوريا ليس بسبب وجود جماعة تطالب بإصلاحات، إذ إن هناك فارقاً بين أن تكون هناك مطالبة بالإصلاح وأن تكون هناك مشاريع تدخل خارجي وتحريض وتهديد لأمن المجتمع واللاجئين إلى استخدام السلاح». وسأل فنيس الذين يتهمون حزب الله بالتدخل في شؤون الدول الخارجية لمجرد تأييده الثورات العربية وإقامته مهرجانات

المشاكل التي تحصل في سوريا، معلناً إدراكه أن ما يصيب سوريا من أذى ينعكس على لبنان بشكل أو بآخر. وبحسب فتفت، فإن عدم تقديم سوريا الملف الكامل لديها يفيد بأن «الافتراء قد يكون مقدمة لشيء ما في لبنان أو هدفه إشعال فتنة داخلية في لبنان»، مشدداً على أن «هذا الافتراء ليس معزولاً وقد يكون مقدمة لشيء أسوأ يرتكب في لبنان».

وختام تعليقات المستقبل المتأخرة على الاتهامات السورية للنائب جمال الجراح بالتورط في الأحداث التي تحصل في سوريا كان عبر وزير البيئة في حكومة تصريف الأعمال محمد رحال الذي وصف ما يشاع بـ«الأفلام والألعاب الاستخباراتية التي لا تخفى على أحد»، داعياً النظام السوري إلى أن «يخيطوا بغير هذه المسئلة». ورأى رحال أن «العبء الاتهامات خطيرة وتخفي وراءها الكثير، لأن حزب الله ومعه قوى الثامن من آذار سبقوا النظام السوري بكيل الاتهامات، وذلك بسبب بحث حزب ولاية الفقيه عما يبرر تدخله في شؤون البلدان العربية وتغطية ارتكابه الأمنية هنا وهناك». وحفل رحال «حزب الله وحلفاءه مسؤوليية أي مغامرة أمنية يمهّد لها تحت عناوين واهية، ومنها الاتهام المفبرك محلياً وخارجياً».

في المقابل، أكد المفتي العام لسوريا الشيخ أحمد بدر الدين حسون أن «فريقاً لبنانياً يحاول منذ وفاة رئيس الحكومة

وذكر السنيورة بحصانة النائب الجراح وبالمعاهدة الموقعة عام 1951 التي تريح «الإخوة السوريين» واللبنانيين والعلاقة بين الطرفين. وكان لافتاً تضامناً الجماعة الإسلامية على لسان نائبها عماد الحوت مع تيار المستقبل، عبر دعوته إلى ترك الشعب السوري يقوم بما يريد. وإذ رفض التعليق مباشرة على الاتهامات السورية لبعض اللبنانيين بالوقوف خلف بعض ما يحصل في سوريا، رأى أن افتقار الاتهام إلى الأدلة المقتنعة، يعيب الاتهام، واصفاً رد فعل النائب الجراح بالأمر المناسب والتصرف السليم.

بدره، أكد عضو كتلة المستقبل النائب محمد الحجار أن تيار المستقبل أعطى تعليمات لجميع المنضوين فيه بعدم التدخل في شؤون أي بلد عربي، مشيراً إلى أن «استقرار لبنان هو من استقرار سوريا». وأعلن الحجار: «في السابق عانينا العديد من المشاكل، ونحن لا نقبل التدخل بشؤون أي بلد عربي، ومن ضمنها سوريا، ونريد علاقات مبنية على الدستور والطائف». وأبدى تفاجؤه بالاتهامات والافتراءات التي تساق ضد التيار وضد الجراح، وكان الأخير بات قادراً على تحريك ثورة في سوريا. ووعد الحجار بعدم السكوت على هذه «الأضاليل»، محملاً رئيس مجلس النواب نبيه بري «مسؤوليته في هذا الموضوع». أما زميله أحمد فتفت، فأشار إلى تألمه من

بعد اتسام ردود تيار المستقبل بالهدوء على اتهام الإعلام الرسمي السوري النائب جمال الجراح بالتورط في ما تشهده بعض المدن السورية، بدا أسس أن ثمة قراراً مستقبلياً بتصعيد الرد على الاتهام، في ظل حديث بعض الفاعلين في تيار المستقبل عن قرار قيادي يقطع الطريق على الراغبين في التحويل على هذه الاتهامات، سواء في لبنان أو في سوريا. وبحسب أحد نواب المستقبل الشماليين، فإن لدى تيار المستقبل معطيات ذات طابع أمني تحثه على الاستنفا لمواجهة «ما يعد له».

فقد أشار رئيس الحكومة السابق فؤاد السنيورة إلى أن الاتهامات السورية بحق تيار المستقبل والنائب جمال الجراح باطلة، وليست مبنية إطلاقاً على وثائق ولا على مستندات بقدر ما هي تصريحات على أجهزة الإعلام. ورأى السنيورة في ما يخص كلام رئيس حكومة تصريف الأعمال سعد الحريري بشأن إسقاط النظام في سوريا، الذي نشرته «الأخبار» نقلاً عن «ويكيليكس»، كلاماً قيل في الماضي ولم يعد ممكناً العودة إليه لأنه قيل في مرحلة تشنج، مشيراً إلى أن زيارات الحريري لسوريا أسقطت كل الكلام الذي قيل في الماضي. ودعا السنيورة إلى عبور الاتهامات في القنوات الصحيحة، فتعد وزارة العدل السورية والقضاء السوري ملفاً يحول إلى وزارة الخارجية السورية لترسله إلى وزارة الخارجية اللبنانية.

المشهد السياسي

المستقبل يرد: الافتراء مقدّمة لإشعال فتنة في لبنان

التضامن معهم، عن موقفهم من تدخلهم المباشر في ما يجري من أحداث في سوريا. بدوره، رأى النائب طلال أرسلان أن «أمن سوريا من أمن لبنان، وأمن لبنان من أمن سوريا». ورفض أن يعبت أي لبناني بأمن سوريا، لأن ذلك هو بمثابة غرز الخنجر في قلب لبنان. وأشار إلى أن الكرة في ملعب المسؤولين اللبنانيين الواجب عليهم إعطاء جواب واضح وصریح أمام هذا التحدي الجديد. وفي السياق نفسه، رأى اللواء جميل السيد أن رئيس حكومة تصريف الأعمال سعد الحريري هو أحد دعاة الفتنة والتخريب داخل سوريا وخارجها، كما بيّنت وثائق «ويكيليكس» أخيراً. ودان السيد «تورط النائب المعروف باكاديبه وافتراءاته، جمال الجراح من كتلة الحريري في هذا التامر والتخريب ضد سوريا وضد العلاقة اللبنانية - السورية، وخصوصاً أن أجهزة الأمن اللبنانية، بما فيها الحالية، قد اكتشفت في أحضانها خليطاً من عملاء إسرائيل وتنظيم القاعدة الذين تورط بعضهم في تخريب لبنان، وصولاً إلى تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك». ودعا السيد الحريري إلى أن يدرك حجمه جيداً، فلا يتدخل في لعبة أكبر منه بكثير. أما النائب مروان فارس، فأرى خلال احتفال توزيع هدايا على الطلاب المتفوقين في مدارس القاع، أن «سوريا تتعرض لمؤامرة لأنها وفقت وما تزال بجانب المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق».